الأحوال العامة لمدينة بلرم في الحكم الإسلامي (٢١٦ – ٤٨٤هـ/ ٨٣١ – ١٠٩١م)

د. زكريا هاشم أحمد الخضر
جامعة سامراء – كلية الآداب

م. م. ثائر حسن عبد الله
جامعة سامراء – كلية الآداب

الملخص

تعدّ دراسة الأحوال العامة للمدن التي خضعت للسيطرة العربية الإسلامية في تأريخهم الطويل من أبرز الدراسات التأريخية التي تسلط الضوء على عظمة إنجازاتهم في المجالات كافة، وتعكس مدى الأثر الذي تركوه في حكمهم لتلك المدن، ولاسيما تلك التي انتزعت منهم لاحقًا وخضعت لمؤثرات حضارية أخرى، وتتيح تلك الدراسات الاطلاع على مدى الأثر الذي تركه العرب المسلمون في تلك البقاع حتى بعد انحسار حكمهم وأثرهم الحضاري عنها، وتعدّ مدينة بلرم في صقلية من أبرز تلك المدن التي لا تزال تحتفظ ببعض دلالات الموروث العربي الإسلامي موزعة في الأنشطة الحضارية جميعها للمدينة بشكلٍ خاصٍ والجزيرة بشكلٍ عامٍ على الرغم من مرور أكثر من عشرة قرون على انتهاء حكم العرب المسلمين لها، وبذلك فإنَّ دراسة تاريخ العرب المسلمين في المدينة يكشف النقاب عن نشاطهم الحضاري فيها ويعزّز فكرتنا عن مستوى التأثير الحضاري الذي تركوه بعد انتهاء حكمهم هناك.

الكلمات المفتاحية: بلرم، صقلية، الفاطميون، شمال أفريقيا.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 9, Issue 30, Nov 2022
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

General conditions of the city of Palermo in the Islamic rule (216-484A.H/ 826-1091 A.D)

Thaer Hassan Abdullah
Zakaria Hashem Ahmed Al-Khidr
University of Samarra- College of Arts

Abstract

The study of the civilized conditions of the cities that were subject to Islamic control during their long history is one of the most prominent historical studies that highlight the greatness of their achievements in all fields, and reflect the extent of the impact they left during their rule on those cities, especially those that were later expropriated from them and subjected to other cultural influences. These studies allow to see the extent of the impact left by the Muslims in those areas even after the decline of their rule and their civilizational impact on it. Palermo in Sicily is one of the most prominent of those cities that still retain some indications of the Islamic heritage distributed in all the civilized activities of the city in particular and the island in particular. A year, despite the passage of more than ten centuries since the end of the rule of the Muslims over it. Thus, the study of the history of the Muslims in the city reveals their civilizational activity in it and reinforces our idea of the level of civilizational influence that they left after the end of their rule there.

Keywords: Palermo, Sicily, Fatimids, North Africa.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين

وبعد..

ترك العرب المسلمون أينما حلوا آثارًا لا تزال تشهد عظمة تلك الفتوحات التي قاموا بها على مدى عدّة قرونٍ من تأريخهم الطويل، ومنها ما حقّقوه من إنجازاتٍ حضاريةٍ في المغرب الإسلامي.

وكان لفتح صقلية سنة (٢١٢هـ/ ٨٢٦م) بداية مرحلةٍ حضاريةٍ جديدةٍ لتلك الجزيرة ستعيشها لاحقًا مدّةً تزيد عن القرنين من الزمان، وسيطر فيها العرب المسلمون على كامل المنجز الحضاري فيها، وقدّموا عدّة إنجازاتٍ على الأصعدة كافةً، واستمرّ تأثيرهم إلى ما بعد ذلك التأريخ بكثيرٍ، فاصطبغت الجزيرة بالصبغة العربية الإسلامية على مدى قرونٍ لاحقةٍ تظهر بشكلٍ جليّ في الميادين كافةً.

وكانت مدينة بلرم من أبرز المدن التي خضعت لمؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بأشكالها المتعددة، فأصبحت فيما بعد النسخة العربية ضمن الحضارة الأوربية بما تضمّه من مباني وعمائر لا تزال بعضها قائمةً يحكي مستوى المؤثرات التي تركها العرب المسلمون في المدينة، فضلًا عن الموروث الاجتماعي واللغوي الذي لا تزال آثاره تشاهد على المجتمع الصقلي بشكلٍ عامٍ.

وبرزت المدينة في حكم العرب المسلمين للجزيرة حين اتخذوها عاصمةً ومقرًا لحكمهم هناك، فعنوا بها عنايةً خاصةً وأقاموا فيها ما يحتاج حكمهم من منشآتٍ ومبانٍ وأحياء جديدةٍ لاستيعاب الاطّراد السكاني الذي طرأ على الجزيرة بعد الفتح.

فكان من المناسب دراسة الأحوال العامة للمدينة إبان سيطرة العرب المسلمين على صقلية، فكان موضوع ((**الأحوال العامة لمدينة بلرم في الحكم الإسلامي (٢١٦- ٤٨٤هـ/ ٨٢٦-١٠٩١م)**)) ميدانًا لبحثنا هذا، وشملت الدراسة مباحث تسبقها مقدمة وتمهيد وتلحقها خاتمة تتضمن أهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة.

المبحث الأول: شمل دراسة الأحوال الجغرافية لمنطقة بلرم ومحيطها، من حيث تسميتها وموقعها وأبرز المظاهر الجغرافية فيها.

والمبحث الثاني: تضمن دراسة الأحوال العمرانية في بلرم، مثل: خطط المدينة وأحيائها المستحدثة في عصر السيطرة العربية الإسلامية، ثم دراسة منشآت المدينة وما أقيم فيها من

مبانٍ، ولتسهيل دراستها قُسمت على مبانٍ دينيةٍ مثل: الجوامع، والمساجد، ومبانٍ مدنيةٍ مثل: القصور، ومبانٍ عسكريةٍ مثل: الأسوار.

والمبحث الثالث: حوى دراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للمدينة، فتطرقنا فيما يتعلق بالأحوال الاقتصادية إلى جوانبها المختلفة مثل: الزراعة، والصناعة، والتجارة، فضلًا عمّا كان العرب المسلمون يحصلون عليه من العمليات العسكرية، أما فيما يتعلق بالأحوال الاجتماعية فكان التنوع السكاني السمة الأبرز لمجتمع المدينة في المدّة موضوع البحث.

تمهيد:

تقع مدينة بَلَرم في جزيرة صقلية[١]، وهي إحدى جزر بحر الروم وأكبرها[٢]، قال فيها البكري: ((إذ ليس فيه (بحر الروم) جزيرة أكثر منها بلادًا وعمارة أقطار، ... وبين صقلّية وبلد إيطالية خليج من البحر، ... عرض جزيرة صقلّية مائة وسبعة وخمسون ميلًا وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلًا))[٣].

المبحث الأول: جغرافية المنطقة

أولًا – التسمية والموقع:

١ – التسمية:

بَلَرم: ضبطها ياقوت الحموي مُشكِّلة بفتح الباء واللام وسكون الراء، وأشار إلى أنَّ أصل الكلمة روميّ ومعناها المدينة[٤].

٢ – الموقع:

وكانت بلرم أكبر مدن جزيرة صقلية وأعظمها، لذا فقد أصبحت قصبتها[٥]، ودار الملك فيها منذ عهد الروم البيزنطيين، واستمرت مكانتها في العصر الإسلامي، فمنها كانت تخرج الأساطيل للغزو[٦].

وتقع مدينة بلرم في الجهة الشمالية من الجزيرة، في موقعٍ حصينٍ على ساحل البحر والجبال محدقةٌ بها ولها ساحلٌ حسنٌ[٧].

وكان لخصائص الموقع أثرٌ كبيرٌ في اختيار العرب المسلمين للمدينة مقرًا لحكمهم، بعد فتحها سنة (٢١٦هـ/ ٨٢٦م)، ويرى إحسان عباس أنَّ فتح بلرم كان خطوةً كبيرةً أدى إلى الاستيلاء على سائر الجزيرة، فلم يعد المسلمون بحاجةٍ إلى الانحياز في معسكراتٍ أو قلاعٍ صغيرةٍ، وكانت بلرم مدينةً بحريةً جيدة الميناء، واتصالها بأفريقية سهلٌ، لذا أصبح باستطاعتهم

أنْ يعتمدوا على مددٍ دائمٍ من أفريقية، وأنْ يحصلوا على المؤن باستمرارٍ، ثم إنَّ المنطقة حول بلرم خصبة يمكنها أنْ تزوّد عساكرهم بمؤنٍ كثيرةٍ(٨).

ثانيًا – الجوانب الجغرافية:

انمازت جغرافية مدينة بلرم بعدَّة ميزاتٍ، كان أهمها:

١ – **التضاريس:** شكّلت الطبيعة الجبلية المكونة لتضاريس المنطقة، السمة الغالبة لشكلها، وكان من أبرز جبالها ما عُرف بجبل النار الذي تكثر فيه الحصون(٩)، قال فيه ابن جبير: ((وهو يأتزر بالسحب لإفراطٍ سمّوه ويعتم بالثلج شتاءً وصيفًا دائمًا))(١٠)، وقال فيه الحميري: ((وهو بركانٌ عظيمٌ لا يعلم في العالم أشنع منظرًا منه ولا أغرب خبرًا))(١١).

٢ – **ساحل البحر:** أحاط مدينة بلرم ساحل بحر الروم الذي كانت تقع عليه، وشكّل الساحل الجهة الشمالية من المدينة(١٢).

٣ – **الموارد المائية:** تنوعت الموارد المائية في المدينة بعدّة أشكالٍ، يمكن دراستها على وفق ما يأتي:

أ – العيون والآبار: نتيجةً للطبيعة الجبلية للمنطقة، كثرت العيون والآبار بمياهها الجوفية هناك، وكانت تشكّل المصدر الأساس للمياه في المدينة، فوصفها ابن حوقل فقال: ((ويطيف بها عيونٌ كثيرةٌ منصبّةٌ من غربها إلى شرقها، ... ويجاور مصبّ ماء هذه العيون من حيث بدأ مسيلها إلى حيث مصبّها في البحر أراضٍ كثيرةٍ تغلب عليها السباخ(١٣) وآجام(١٤) فيها قصبٌ فارسيٌّ وبحائر))(١٥)، ووصفها الشريف الإدريسي بأنَّ مياه عيونها كانت تجري(١٦)، وأشار ياقوت الحموي إلى نحو ذلك حينما قال: ((وتطيف بالمدينة عيونٌ من شرقها إلى غربها، وماؤها يدير رحى، وشرب بعض أهلها من آبارٍ عذبةٍ وملحةٍ على كثرة المياه العذبة الجارية عندهم))(١٧).

وكانت الجبال المصدر الرئيس لمياه العيون العذبة، والتي استعملت لسقي البساتين والمتنزهات وتوفير المياه للساقيات التي كانت منتشرةً في عدّة انحاء من المدينة(١٨)، فقال فيها الحميري: ((والمياه بجميع جهات المدينة مخترقة جارية متدفقة وفواكهها كثيرة ومبانيها ومتنزهاتها حسنة تعجز الواصفين وتبهر عقول العارفين وهي بالجملة فتنة للناظرين))(١٩).

وقد أورد ابن حوقل اسماء لبعض تلك العيون، والتي لم يرد عن علل تسمياتها، وهي: ((عين شفاء، ... والعين المعروفة بالغربال، ... وعين تعرف بعين التسع دون الغربال في كثرة الماء، وعين تعرف بعين أبى سعيد دونها، وعين تعرف بعين أبى علي، ... والعين المعروفة بعين الحديد، ... ويحيط بالبلد عيون غير مشهورة وينتفع بمياهها كالقادوس في ناحية القبلة وبها

الفوّارة الصغيرة والفوّارة الكبيرة على أنف الجبل من البلد وهى أغزر عيونهم ماءً، وتنصرف هذه المياه الى أجنّتهم))[٢٠].

ب – وادي عباس: ويعدّ المصدر الرئيس الثاني للموارد المائية في المدينة[٢١]، أشار إليه ابن حوقل فقال: ((وعلى طرفها (بلرم) الوادي المعروف بوادي عبّاس وهو عظيمٌ كبيرٌ ومطاحنهم عليه كثيرةٌ وبساتينهم وأجنّتهم غير منتفعةٍ به))[٢٢]، وذكر ياقوت الحموي نحو ذلك[٢٣]، ممّا يعني أنَّ مياه هذا الوادي كانت تستعمل في تشغيل رحى المطاحن التي أنشأها أهل بلرم على مجرى النهر من دون استعماله في عملية إرواء البساتين والأراضي الزراعية.

ج – نهر روطه: قال فيه ابن حوقل: ((نهر كبير، ... فيه ماء صالح عليه أرحية كثيرة متقاطرة))[٢٤].

د – وادي السلة: وهو وادٍ يجري فيه نهرٌ كبيرٌ كثير الماء له الاسم نفسه، يصطاد به سمك يعرف بالري في فصل الربيع[٢٥].

المبحث الثاني: المعالم العمرانية في بلرم

أولًا – خطط المدينة:

أشارت المصادر العربية الإسلامية إلى بعض الجوانب الخططية والعمرانية لمدينة بلرم، وعلى الرغم من أنَّ نصوص تلك المصادر تعود إلى عهد النورمان في الجزيرة، إلا أنّها بلا شكّ تتحدث عن عمران المدينة من حيث هو امتداد لعمرانها إبان حكم العرب المسلمين لها، وكانت المدينة مكونة من خمس وحداتٍ رئيسةٍ واضحة الحدود متباينة المسافات، تتخللها حارات سميت بأسماء قاطنيها[٢٦]، ويمكن استعراضها بالآتي:

١ – القلعة (القصر):

وكانت تمثل نواة المدينة ومركزها، أطلق عليها الشريف الإدريسي تسمية القصر؛ لأنَّها على ما يبدو، كانت تمثل المركز الإداري للمدينة إذ قال: ((فالقصر هو القصر القديم المشهور فخره في كلّ بلدٍ وإقليمٍ، وهو في ذاته على ثلاثة أسمطة[٢٧]، فالسماط الأوسط يشتمل على قصور منيعة ومنازل شامخة شريفة، ... والسماطان الباقيان فيهما أيضًا قصور سامية ومبانٍ فاخرة عالية، ... والقصر المذكور من أكثر الحصون منعة وأعلاها رفعة لا ينال بقتال ولا يطاق على حال، وبأعلاه حصن محدث ... مبني بالفصوص الجافية والصخور المنحوتة الضخمة، وقد أحكم نسقه وأعليت رققه وأوثقت منائره ومحاريسه، واتقنت قصوره ومجالسه وشيدت بنيانا ونمقت بأعجب المغتربات وأودعت بدائع الصفات))[٢٨].

ووصفه بنيانين التطيلي حين زيارته للمدينة فقال: ((وهذا القصر بناء فخم، جدرانه ذات نقوش بديعة مموهة بالذهب والفضة، وبلاطته من رخام ملون بجميع الألوان المعروفة))[٢٩].

٢- الربض[٣٠]:

ووصفه الشريف الإدريسي إذ قال: ((والربض المحدق بالقصر القديم ... هو في ذاته كبير القطر كثير الديار والفنادق والحمامات والحوانيت والأسواق، وله سور يحيط به وخندق وفصيل، وبه في داخله بساتين كثيرة ومتنزهات عجيبة وسقايات ماء عذبة جارية مجلوبة إليها من الجبال المحدقة ببقعتها))[٣١]، ومن ذلك الوصف يتضح بأنَّ الربض كان يحيط بالقلعة (القصر) وهو في الوقت ذاته كان يمثّل المجال الحيوي الذي استعمل لإشغال المنشآت العامة غير الحكومية للمدينة مثل: الأسواق والحوانيت، والمنشآت الخدمية مثل: الفنادق والحمامات، والسكنية مثل: دور العامة، وغيرها من المنشآت الأخرى.

٣ - الخالصة:

وخصص قسم من ربض المدينة لإقامة ما عُرفت لاحقًا باسم الخالصة[٣٢]، وذكر ابن الأثير أنَّ سبب بنائها جاء بعد تجدد عصيان أهل بلرم سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م) فأرسل لهم القائم بأمر الله (٣٢٢- ٣٣٤هـ/ ٩٣٤- ٩٤٥م) قائد جنده خليل فهدّم أسوارها، وبنى عند المرسى مدينةً وحصّنها وسمّاها الخالصة، وأرهق الناس في أعمال البناء[٣٣]، وكان ابن حوقل قد زارها بعد بنائها بزمنٍ ليس ببعيدٍ فقال فيها: ((يسكنها السلطان وأتباعه وفيها حمّامان ولا أسواق فيها ولا فنادق، وفيها مسجدٌ جامعٌ صغيرٌ مقتصدٌ، وبها جيشٌ للسلطان ودار صناعةٍ للبحر والديوان، ولها أربعة أبوابٍ من قبولها ودبورها وغربها وشرقيّها))[٣٤].

وأشار المقدسي إليها على أنَّها مدينة قائمة بذاتها وتعدّ القسم الخارجي من بلرم، في حين عدَّ بلرم القديمة القسم الداخلي، وأنَّها محاطةٌ بسورٍ له أربعة أبوابٍ وهي: باب كتامة، وباب الفتوح، وباب البنود، وباب الصناعة[٣٥].

وطرأ على الخالصة بعض التغيرات الخططية إذ أصبحت مع بداية القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد إحدى محلات مدينة بلرم إذ قال فيها ياقوت الحموي: ((إنَّها اليوم محلّة في وسط بلرم، وبلرم محيط بها))[٣٦]، وأشار الحميري إلى قدم منشئها فقال: ((وبها (بلرم) المدينة القديمة المسمّاة بالخالصة التي كان بها سكنى السلطان والخاصة في أيام المسلمين وباب البحر ودار الصناعة))[٣٧].

وبذلك تكون الخالصة خاليةً من المنشآت الخدمية مثل: الأسواق والفنادق والخانات، أنموذجًا متقدمًا لإنشاء المدن ذات الطبيعة الخالصة، مثلما فعل الفاطميون حين شيّدوا مدينة القاهرة بعد ذلك بما يقارب الأربعين سنةَ؛ لتكون حصنًا لحكّامهم ورجال الحاشية(٣٨).

٤- حارة الصقالبة:

قال فيها ابن حوقل: ((وهى أعمر من المدينتين اللتين ذكرتهما وأجلّ ومرسى البحر بها وبها عيون جارية بينها وبين صقلّية ومياه كالحدّ بينهما))(٣٩)، وأشار ياقوت الحموي إلى نحو ذلك(٤٠)، ويبدو أنَّ غالبية سكان تلك الحارة كانوا من الصقالبة، الذين ربّما كان استقدامهم بالتجارة كما هي الحال في الأندلس.

٥ - حارة مسجد صقلاب:

وردت باسم حارة ابن صقلاب، وسمّيت نسبةً إلى المسجد المعروف بمسجد صقلاب، وهي كبيرة وليس فيها مياه جارية وشرب أهلها من الآبار، وعلى طرفها الوادي المعروف بوادي عباس(٤١).

٦ - الغربية:

ناحية بمدينة بلرم، ذكرها ابن حوقل من دون تحديد موقعها(٤٢).

٧ – حارة اليهود:

كانت تقع قبالة باب الحديد أحد أبواب بلرم القديمة، وربّما كانت هذه الحارة مستوطنًا لليهود الذين كان عددهم في القرن السادس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد يتجاوز الألف وخمسمئة يهوديّ(٤٣).

٨ – الحارة الجديدة:

ذكرها ياقوت الحموي فقال فيها: ((وهي تقارب حارة ابن صقلاب في العظم والشبه وليس عليها سور))(٤٤).

٩ - حارة أبى جمين:

ذكرها ابن حوقل من دون إشارةٍ إلى سبب التسمية أو موقعها سوى أنَّها يخرج إليها من بابٍ استحدثه المسلمون في السور القديم لمدينة بلرم(٤٥).

ويبدو ممّا سبق أنَّ المدينة القديمة قبل الفتح الإسلامي للجزيرة كانت ضمن حدود القلعة وفيها القصر الرئيس للمدينة، فيما أنشئت المناطق الأخرى أثناء الحكم الإسلامي للجزيرة، بدلالة اسمائها العربية.

ثانيًا – منشآت المدينة:

ضمّت المدينة عددًا من المنشآت يمكن تصنيفها بما يأتي:

١- المنشآت الدينية:

أ - المسجد الجامع: أنشئ في المدينة عددٌ من المنشآت الدينية كان على رأسها المسجد الجامع، وقد ذكرت النصوص التاريخية جانبًا من الملامح العمارية لذلك الجامع.

فقال فيه ابن حوقل: ((وفيها مسجد الجامع الأكبر، وكان بيعة للروم قبيل فتحها وفيه هيكل عظيم، ويقول بعض المنطقيّين أنَّ حكيم يونان يعني أرسطو طاليس في خشبة معلّق في هذا الهيكل الذي قد اتّخذه المسلمون مسجدًا، وأنَّ النصارى كانت تعظّم قبره وتستشفى به، ... وقد رأيت خشبةً يوشك أنْ يكون هذا القبر فيها))[٤٦].

وكان موقع الجامع في المدينة القديمة ضمن القصر[٤٧]، ووصفه الشريف الإدريسي قائلًا: ((وصفته الآن تغرب عن الأذهان لبديع ما فيه من الصنعة والغرائب المفتعلة المنتخبة المخترعة من أصناف التصوير وأجناس التزاويق والكتابات))[٤٨].

وتحدّث ابن حوقل عن حجم الجامع ومقدار سعته، فقال: ((إنّي حزرت المجتمع فيه إذا غصّ بأهله بلغ سبعة آلف رجلٍ ونيّفًا، لأنَّه لا يقوم فيه أكثر من ستة وثلاثين صفّا للصلاة وكلّ صفّ منها لا يزيد على مائتي رجل))[٤٩].

ب - المساجد المحلية: اشتهرت مدينة بلرم بكثرة مساجدها، ولفتت هذه الظاهرة انتباه ابن حوقل فقال: ((في مدينة بلرم والمدينة المعروفة بالخالصة والحارات المحيطة بها من وراء سوريهما عامرة أكثرها قائمة على عروشها بحيطانها وأبوابها نيّف وثلاثمائة مسجد، ... وقد رأيت في بعض الشوارع من بلرم على مقدار رمية سهم عشرة مساجد بعضها تجاه بعض وبينها عرض الطريق فقط))[٥٠].

وعلّل ياقوت الحموي سبب تلك الظاهرة فقال: ((فسألت عن ذلك فقيل لي: إنَّ القوم لشدّة انتفاخ رؤوسهم وقلّة عقولهم يحبّ كلّ واحدٍ منهم أنْ يكون له مسجدٌ على حدة لا يصلّي فيه غيره ومن يختصّ به، وربّما كان أخوان وداراهما متلاصقتان وقد عمل كلّ واحدٍ منهما مسجدًا لنفسه خاصًا به يتفرّد به عن أخيه والأب عن ابنه))[٥١].

ولم يرد ذكر تلك المساجد في المصادر العربية الإسلامية سوى مسجد صقلاب في المحلة المعروفة به، ومسجد آخر عُرف باسم مسجد الزهري وكان يقع داخل المدينة القديمة[٥٢].

٢- المنشآت المدنية:

شيّد العرب المسلمون العديد من المنشآت المدنية التي انتشرت في عدّة أنحاء من المدينة، وكان من أبرزها القصور، والتي تنوعت ما بين قصر الحاكم، وقصور الترفيه التي اشتهرت بها

الجزيرة بشكلٍ عامٍ، ومن أبرزها قصر سعد، الذي كان يقع على بعد فرسخ[٥٣] من المدينة، على ساحل البحر، وكان قائمًا سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) حين زاره ابن جبير فقال فيه:((وهو موصوفٌ بالفضل والبركة مقصودٌ من كلّ مكانٍ، وبإزائه عينٌ تعرف بعين المجنونة، وله بابٌ وثيقٌ من الحديد، وداخله مساكن، وعلالي مشرفة وبيوت منتظمة، وهو كامل مرافق السكنى، وفي أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا بهاء، مستطيل ذو حنايا مستطيلة، مفروش بحصر نظيفة، لم ير أحسن منها صنعة، وقد علّق فيه نحو الأربعين قنديلاً من أنواع الصفر والزجاج، وأمامه شارع واسع يستدير بأعلى القصر، وفي أسفل القصر بئر عذبة))[٥٤]، ويعكس وصف ابن جبير لأقسام القصر مدى العناية والاحكام الذي وصلت إليه هندسة العمران في صقلية في عهد السيطرة الإسلامية.

وبنى العرب المسلمون على مقربة من قصر سعد قصرًا آخر سمّي بـ(قصر جعفر)، ويقع ما بين قصر سعد ومدينة بلرم، إذ يبعد عنه بما يقارب الميل، وكان مشابهًا من حيث العمارة لقصر سعد، وقد زيّن القصر بنافورةٍ نُصبت داخله، ومن الراجح أنَّ هذا القصر هو ما يُعرف حاليًا باسم قصر الفوارة، الذي يُنسب بنائه إلى الأمير جعفر، فيما بين سنتي (٣٨٧- ٤١٠هـ/ ٩٩٧- ١٠١٩م) وخُصص للترفيه، ولا تزال هناك بقايا البناء الذي يحيط بالبركة الصناعية؛ ليحبس بها الماء[٥٥].

٣ - المنشآت العسكرية:

تعدّ الأسوار المحيطة بالمدن من أهم المنشآت العسكرية في العصور الوسطى، والتي أنشئت للأغراض الدفاعية؛ لتأمين المدن من أخطار الغزو والفعاليات العسكرية، وقد أشارت المصادر العربية الإسلامية إلى أنَّ مدينة بلرم كانت تضمّ أكثر من سور، فالسور الأول وهو الأقدم وكان يحيط بالمدينة القديمة والقلعة، وهو سور عظيم شامخ منيع، مبني من حجر، في حين أحاط السور الثاني بالربض بكلّ حاراته، وقد عُزز سور الربض بخندق وفصيل[٥٦].

وللسور عدّة أبوابٍ وصفها ابن حوقل وعددها تسعة أبوابٍ فقال: ((وأشهر أبوابها باب البحر وسمّي بذلك لقربه من البحر، ويليه باب أحدثه أبو الحسين أحمد بن الحسن بن أبي الحسين[٥٧]، لشكوى أهل هذه الناحية بعد مخرجهم فعمله على نشز مطلّ على نهر وعين تدعى عين شفاء وبها يعرف هذا الباب وقتنا هذا، ... ثم باب يعرف بشنتغاث وهو باب قديم وإليه باب يعرف بباب روطه، ... ثم باب الرياض وهو أيضًا محدث استحدثه أبو الحسين أحمد بن الحسن، وكان بجواره باب يعرف بابن قرهب في موضع غير حصين، ... فسدّه أبو الحسين وأزاله، وبجواره باب الأنباء وهو أقدم أبوابها واليه باب السودان تجاه الحدّادين، ثم باب الحديد

ومنه المخرج الى حارة اليهود واليه باب استحدثه أبو الحسين أيضا ولم يسمّ باسم ويخرج منه الى حارة أبى جمين وجميعها تسعة أبواب...))[٥٨].

وعلى ما يبدو فإنَّ السور الأول الذي كان يحيط بالقلعة والمدينة القديمة قد أنشئ قبل الفتح الإسلامي للجزيرة[٥٩]، وكان قد هُدِّم في الربع الأول من القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، على يد الفاطميين بعد العصيان الذي قام به أهل المدينة سنة (٣٢٦هـ/ ٩٣٧م)[٦٠]، في حين يعود تاريخ السور المحيط بالربض والحارات الملحقة بالمدينة إلى عهد السيطرة الفاطمية في القرن الرابع للهجرة، فقد انفرد النويري بذكر تفاصيل عن سبب تشييده فأشار إلى أنَّ المعز لدين الله الفاطمي (٣٤٢- ٣٦٥هـ/ ٩٥٣- ٩٧٥م) أمر والي صقلية، بعد أنْ وقَّع الهدنة مع البيزنطيين، ببناء أسوار المدينة وتحصينها، وأنْ يبنى في كلّ إقليم من أقاليم الجزيرة مدينة حصينة وجامعًا ومنبرًا، وأنْ يأذن أهل كلّ إقليم بسكنى مدينتهم، ولا يتركوا متفرقين في القرى، فسارع الأمير أحمد، والي صقلية، إلى ذلك وشرع في بناء سور المدينة وبعث إلى الجزيرة جميعها مشايخ ليقفوا على العمارة[٦١]، وكلام النويري عن سور بلرم يوافق قول ابن حوقل بأن سور بلرم من حجارة مانع شامخ، ويتفق مع الإصلاحات التي ينسبها الرحالة إلى الأمير أحمد في أبواب المدينة[٦٢].

المبحث الثالث: الجوانب الاقتصادية والاجتماعية

وردت في المصادر العربية الإسلامية معلومات عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمدينة، فأمكن منها دراسة تلك الجوانب بشكل عام.

أولًا – الجوانب الاقتصادية:

شهدت المدينة حركة اقتصادية واضحة أسهمت بشكل عام في رفد اقتصاد جزيرة صقلية، ومن الطبيعي أنْ تتضافر عدّة عوامل في تنمية ذلك الجانب ومن أهم تلك العوامل أنَّ المدينة كانت قصبة الجزيرة ومركزها الإدارية، فضلًا عن موقعها على ساحل البحر وطبيعة جغرافيتها[٦٣].

ويمكن تصنيف الجوانب الاقتصادية على أساس مقوماتها العامة مثل: الزراعة والصناعة والتجارة، والتي كانت تشكّل بمجملها الإطار العام لاقتصاديات الأقاليم العربية الإسلامية على مدى تأريخها الطويل.

١ – **الزراعة:** أسهمت العوامل الجغرافية والطبيعية في تنمية المجال الزراعي لمدينة بلرم، فاشتهرت أراضيها بكثرة البساتين والمتنزهات والحقول الزراعية، فضلًا عن القرى التي وردت أسماء بعضها في المصادر العربية الإسلامية[٦٤]، وكان لوجود المياه بكثرة في المنطقة أثرًا في ازدهار الزراعة، فالمياه، بحسب ما ذكر الحميري: ((بجميع جهات المدينة مخترقة جارية متدفقة

وفواكهها كثيرة ومبانيها ومتنزهاتها حسنة تعجز الواصفين وتبهر عقول العارفين وهي بالجملة فتنة للناظرين))[٦٥].

ووصفها المقدسي البشاري فقال: ((يحدّق بها الفوّارات والخيازير[٦٦] .... كثيرة الفواكه والخيرات والأعناب))[٦٧].

وكان جبل النار من أشهر المناطق الزراعية قرب بلرمو، فاشتهر بكثرة حصونه ومحاصيله الزراعية[٦٨].

وعرض بنيامين التطيلي صورة عامة لأوضاع الزراعة فيها فقال: ((وتكثر في هذه المدينة العيون والوديان وحقول الحنطة والشعير، وبساتين الأشجار المثمرة مما لا مثيل له في جميع مدن صقلية))[٦٩].

وقد اشتهرت المدينة بزراعة أنواع من المحاصيل كان أهمها: القمح، والعنب، والكروم، والبصل، ونبات البربير[٧٠]، والقصب الفارسي، والتفاح، والبلوط، والإجاص[٧١].

ونتيجةً لوفرة العوامل المساعدة في ازدهار الزراعة فقد ظهرت بعض القرى الزراعية المحيطة بالمدينة، من أهمها: قرية البيضاء التي كانت تشرف على المدينة وبينهما نحو نصف فرسخ، وقرية تعرف ببلهرا وفيها عيون وأنهار تتفجّر منها، ... وهي كثيرة البساتين والكروم[٧٢].

وأسهم ازدهار زراعة القمح في انتشار المطاحن ببلرم، فكانت رحى تدار بالماء[٧٣].

وغالبًا ما تعرضت تلك المزارع إلى التدمير؛ نتيجة الحروب المستمرة بين المسلمين وبقايا الروم البيزنطيين الذين ظلّوا مسيطرين على بعض الجيوب في الجزيرة، وكان الحرق إحدى أبرز الأساليب التي يتمّ فيها تدمير المساحات المزروعة، فضلًا عن أساليب أخرى مثل: جني المحاصيل من الجيوش وقت نضوجها؛ لئلا يستفيد منها العدو[٧٤].

٢ – **الصناعة:** اشتهرت مدينة بلرم ببعض الصناعات كان أهمها: صناعة المراكب البحرية والسفن، ومستلزماتها، وكان لوفرة المواد الأولية في الجزيرة ولاسيما وجود معدن الحديد فيها دور في ازدهار تلك الصناعة، وكان الحديد مخصص للدولة فقط، ولا يسمح لأحد من الرعية استغلاله، واستعمل البردي الذي يسمّى بـ(البربير)، والذي انتشر بكثرة حول مدينة بلرم، في إنتاج حبال المراكب[٧٥]، ونتيجة ازدهار تلك الصناعة ظهرت فيها منشآت خاصة بصناعة السفن أطلق عليها دار الصناعة[٧٦].

وشاعت بعض الصناعات فيها مثل: صناعة الملابس، فقد اشتهرت بإنتاج نوعٍ من ثياب الكتان[٧٧]، والصناعات الخشبية، والمعدنية، وصناعة الطوامير، التي كانت تصنع من البردي

المسمّى بـ(البربير)، وصناعة نوع من الأواني تسمّى بـ(الإطرية)[٧٨] وكانت تصدّر منها إلى البلدان جميعًا، وقد خُصص لأصحاب تلك الصناعات أسواق متخصصة بهم[٧٩].

٣ – **التجارة:** كان لموقع بلرم على ساحل البحر دور في انتعاش الحركة التجارية فيها، ويتجلى ذلك الانتعاش في طبيعة أسواقها التي نظمت بشكل تخصصي، فظهرت غالب أسواقها تحمل طابع التخصص، فأشار ابن حوقل إلى أهم تلك الأسواق ووصفها فقال: ((وأكثر الأسواق فيما بين مسجد ابن صقلاب والحارة الجديدة، كسوق الزّياتين بأجمعهم والدّقاقين، والصيارفة، والصيادلة، والحدّادين، والصياقلة، وأسواق القمح، والطرازيّين، والسمّاكين، والأبزاريّين، وطائفة من القصّابين، وباعة البقل، وأصحاب الفاكهة، والريحانيّين، والجرّارين، والخبّازين، والجدّالين، وطائفة من العطّارين، والجزّارين، والأساكفة، والدبّاغين، والنجّارين، والغضائريّين[٨٠]، والخشّابين خارج المدينة، وببلرم طائفة من القصّابين، والجرّارين، والأساكفة، وبها للقصّابين دون المائتي حانوت لبيع اللحم والقليل منهم في المدينة برأس السماط ويجاورهم القطّانون، والحلّاجون، والحذّاؤون))[٨١].

وكان سوق المدينة الرئيس يُعرف بالسماط وهو يمتدّ من شرقها إلى غربها، ومفروش بالحجارة[٨٢].

وأُرفقت بتلك الأسواق بعض العمائر الملحقة بها، فكثرت فيها الحمامات والفنادق الخاصة بالتجار الغرباء[٨٣].

وتشتهر بلرم بإنتاج أنواع من الأحجار التي تكثر في طبيعتها؛ نتيجة وجود جبل البركان بالقرب منها، ومنها ((الحجر الأبيض الخفيف الذي يحكّ به الكتابة من الدفاتر والرقوق وغيرها ويعرف بالفنسك ويسمّى أيضًا القيشورا، وقد يوجد بنواحي هذه الأطمة الحجر المعروف بالشب النافع لأوجاع البطن والمعدة إذا علق عليها وللماء الأصفر وقد يفعل ذلك الحجر المعروف بالبسّد وهو أصل المرجان))[٨٤].

٤ – **غنائم الحروب:** تعدّ من أبرز المصادر الاقتصادية لأهل بلرم، جاءت نتيجة الحروب والمعارك المتتالية بين العرب المسلمين وبقايا الروم البيزنطيين وسكان الجزيرة الأصليين، وغالبًا ما كانت تنتهي تلك المعارك باستيلاء العرب المسلمين على الغنائم التي يتركها جيش الروم البيزنطيين، أو بصلح يُفْرَض فيه للعرب المسلمين بعض المكاسب العينية، وتنوعت تلك الغنائم ما بين السبايا من النساء والأسرى من الرجال، فضلًا عن الدواب والماشية والمتاع وغيرها، ففي صلح سنة (٢٣٩هـ/ ٨٥٤م) حصل العرب المسلمون على ستة آلاف رأس من الماشية مقابل رفع الحصار عن البيزنطيين والعودة إلى بلرم[٨٥]، وتعدّ معركة المجاز سنة (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) من

أبرز المعارك التي غنم فيها المسلمون من الروم البيزنطيين فتمّ أسر ألفٍ من عظمائهم ومئةٍ بطريق، وحملت كلّ تلك الغنائم إلى مدينة بلرم(٨٦).

ثانيًا – الجوانب الاجتماعية:

انماز التركيب الاجتماعي في مدينة بلرم بالتنوع في الأعراق والأديان، منذ أول عهدها بالفتح العربي، فقد وصفها الراهب ثيودوسيوس فقال: ((حافلة بالناس من أهلها والغرباء حتى كأنَّه قد اجتمع فيها كلّ المسلمين من شرق إلى غرب ومن شمال إلى جنوب، وبين أهلها من صقليين وإغريق ولمبارديين(٨٧) ويهود ترى العرب والبربر والفرس والتتار والزنوج، بعضهم يرتدي العباءة والعمامة، وبعضهم يلبس الجلود وفيهم أنصاف عراة وثمة وجوه مستطيلة أو مربعة أو مستديرة من كلّ سحنة وهيئة، ولحى من كلّ لون طويلة أو قصيرة))(٨٨).

وأحدث الفتح الإسلامي لصقلية تغيرًا مهمًا في التركيبة السكانية للمدينة، وجاء ذلك التغيّر على حساب السكان الأصليين، فأشارت بعض المصادر الإسلامية إلى أنَّ سكان المدينة تقلّص بشكلٍ كبيرٍ من جرّاء فتح المدينة سنة (٢١٦هـ/ ٨٣٠م) إذ أصبح نصارى بلرم لا يتجاوز عددهم الثلاثة آلاف، بعد أنْ كان تعدداهم يفوق السبعين ألفًا قبل الفتح(٨٩)، ويبدو أنَّ ذلك الانخفاض في سكان المدينة يعود بالدرجة الأساس إلى هجرة سكانها باتجاه مناطق مثل: الدولة البيزنطية التي غالبًا ما كانت ملجًا للهاربين من العمليات العسكرية التي رافقت فتح العرب المسلمين للجزيرة.

وبذلك أصبح المسلمون يشكلون الغالبية العظمى من سكان المدينة، ويمكن تمييز كتلتين رئيستين من المسلمين الذين شاركوا في فتح الجزيرة، وهما أهل الأندلس وأهل أفريقية(٩٠)، فقد وصل إلى الجزيرة مقاتلو أهل الأندلس والذين قدّموا على متن ثلاثمئة مركبٍ سنة (٢١٤هـ/ ٨٢٨م)؛ لمساندة جيش أفريقية والمساهمة في فتح الجزيرة(٩١).

وتدلّ أسماء الأعلام والأماكن الصقلية على الأجناس والقبائل التي كانت تملأ الجزيرة، وهي تثبت أنَّ صقلية اكتظت بأناسٍ من الشعوب الساكنة في الدولة العربية الإسلامية ومن هؤلاء عرب عدنانيون وقحطانيون، ومن القحطانيين وهم الأكثرية الغالبة من الجنس العربي همدانيون(٩٢) وكلبيون(٩٣)، وجاء الفتح إلى صقلية بالخراسانيين(٩٤) وغيرهم من الفرس، ودخلوها من إفريقية في القرن الثالث للهجرة/ الثامن للميلاد، وربّما كان بنو الطبري من أعيان بلرم تشير نسبتهم إلى طبرستان(٩٥)، وتدلّ عين السندي وبلهرا على مهاجرين من أصل هندي، وهذه الأسماء والمنازل تعين النواحي التي نزلها المسلمون وبالأخص بلرم(٩٦).

ودخلت الجزيرة جماعاتٌ كثيرةٌ من البربر سكن بعضهم بلرم ومن أبرزهم جماعة من كتامة، فكان لهم ثقلهم المؤثر في الأحداث السياسية، فأثاروا الفتنة هناك منتصف القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وظهرت أسماء تنتسب إلى قبيلة باجة[٩٧].

وأضاف ابن حوقل إلى هؤلاء ذكر الصقالبة وكان لهم في بلرم حارة مستقلة[٩٨]، واليهود الذين كانوا مستقلين أيضًا بحارتهم، وربّما كان المركز التجاري فيها يهيئ لهم مقامًا نافعًا، وظلّ اليهود بصقلية أثناء العصر النورماني، فلما زار بنيامين التطيلي صقلية سنة (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) وجد فيها ألفًا وخمسمئة يهوديّ يمارسون أنواعًا مختلفة من التجارات[٩٩].

وشكَّل العبيد جزءًا من مجتمع المدينة، وعلى الرغم من قلّة معلوماتنا فيما يخصّ أصولهم، إلا أنَّهم كانوا مؤثرين في المجال السياسي فدعموا تمرد علي بن ثقة الدولة يوسف سنة (٤٠٥هـ/ ١٠١٥م) ضد أخيه تاج الدولة جعفر الذي ولي الجزيرة من الفاطميين سنة (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، إلا أنَّ العبيد كان مصيرهم النفي خارج الجزيرة بعد فشل التمرد[١٠٠].

ومن الطبيعي أنْ تخضع صقلية بشكلٍ عامٍ وبلرم بشكلٍ خاصٍ إلى نمطية الواقع الاجتماعي وحتميته في عموم البلدان المفتوحة، وهو ما نقصد به ظهور طبقة المولدين[١٠١]، والتي لم تتجسد بشكلٍ تامٍ إلا ببعض النصوص التي أشارت إلى وجود أسماء غريبة ظهرت بعيد الاجتياح النورماندي للجزيرة، مثل: أحمد بن رومة، وعبد الرحمن بن فرنكة، وربّما كانت أسماء لأشخاصٍ تعود أعراقهم إلى أصل صقلي[١٠٢].

وقد أورد ابن حوقل معلومات مهمة حول ذهنية أهالي بلرم بشكل عام، وسلوكهم الاجتماعي، وإنْ كان طرح تلك المعلومات ذو طابع نقدي، إلا أنَّها نقلت صورة حية للتصرفات الاجتماعية لسكان بلرم من سلوك وتفكير، وأشار إلى أنَّه صنَّف كتابًا سمّاه كتاب صقلية[١٠٣] تحدّث فيه عن العادات والتقاليد الاجتماعية في الجزيرة بشكل عام، وأهم ما فيه ذكره لفرقة من الفرق الدينية أسست لها تقاليد دينية واجتماعية خاصة بها، إذ قال فيها: ((الفرقة التي ليست كفرقة من فرق الإسلام، ولا نحلة من النحل، ولا في بلد من البلدان، ولا بدعة من البدع، ولا مشاكلة لنحلة في دين من الأديان، وهم المشعمذون أكثر أهل حصونهم وباديتهم وضياعهم، رأيهم التزويج إلى النصارى على أنَّ ما كان بينهم من ولد ذكر لحق بأبيه من المشعمذين، وما كانت من أنثى فنصرانية مع أمها لا يصلّون ولا يتطهّرون، ولا يزكّون، ولا يحجّون، وفيهم من يصوم شهر رمضان، ويغتسلون إذا صاموا من الجنابة، وهذه منقبة لا يشركهم فيها أحد وفضيلة دون جميع الخلق أحرزوا بها في الجهل قصب السبق))[١٠٤].

الخاتمة:

بعد إتمام دراسة ((**الأحوال العامة لمدينة بلرم في الحكم الإسلامي (٢١٦- ٤٨٤هـ/ ٨٣٠- ١٠٩١م)**) تمّ التوصل إلى جملةٍ من النتائج التي يمكن استعراضها بحسب ما يأتي:

- تبوأت مدينة بلرم مكانة خاصة من بين مدن جزيرة صقلية في العصور السابقة للفتح العربي الإسلامي لصقلية، فكانت المنفذ الرئيس للاتصال مع المحيط الخارجي، نتيجة لموقعها الجغرافي المميز.
- دخلت المدينة مرحلة حضارية جديدة بعد الفتح العربي الإسلامي لجزيرة صقلية سنة (٢١٦هـ/ ٨٣٠م)، باتخاذها مقرًا للحكم والإدارة في الجزيرة.
- أسهمت الأحوال الجغرافية للمدينة في زيادة مكانتها على المستوى الإداري والسياسي والتجاري.
- قدّم العرب المسلمون إنجازات كبيرة في مجال العمران فاستحدثوا بعض المحال السكنية نتيجة زيادة أعداد سكانها، وإنشاء العديد من المنشآت العامة والخاصة فيها، مثل: الجوامع، والمساجد، والقصور، وغيرها.
- تمتعت بلرم بتنوعٍ في مصادر المياه ووفرتها، ممّا أسهم بانتعاش الزراعة فيها، فكانت تنتج العديد من المحاصيل الزراعية التي يصدر بعضها إلى خارج الجزيرة.
- أسهم ازدهار الزراعة إلى حدّ ما بانتعاش الصناعة التي قامت هناك معتمدة على ما توفره البيئة المحلية من مواد أولية مثل: الأخشاب، والقصب البردي، والكتان، وغيرها.
- تسبب كل ذلك بانتعاش حركة التجارة، ولاسيما البحرية منها فأنشأ ميناءً خاصًا بالمدينة كان المنفذ الرئيس لها مع العالم الخارجي، فكانت المنتجات المصدرة والمستوردة تمرّ من ذلك الميناء.
- انماز المجتمع الصقلي –في بلرم بالتحديد– بالتنوع والاختلاف، فذكرت المصادر العديد من الفئات المختلفة دينيًا وعرقيًا تشترك فيما بينها بالمصالح الاقتصادية التي أسهمت إلى حدّ ما في إذابة الفروق المذهبية والعرقية فيما بينهم، فكان المسلمون واليهود والنصارى يشكلون النسيج الاجتماعي في المدينة، وينقسم المسلمون على أعراق مختلفة، مثل: العرب، والبربر، والفرس، وكان منهم المشارقة، والمغاربة والأندلسيين، فضلًا عن وجود أقلية من الأفارقة عاشت بينهم.

الهوامش

References

(١) جزيرة صقلية: سميت باسم شيقلوا أخي إيطال الذي به سميت إطالية، وكانت تعرف قبل (تري قريا) ومعناه باللسان الإغريقي: ثلاثة في أربعة، وإنما ذلك لثلاثة مواضع مشرفة فيها وهي: بلرم التي هي قاعدتها وباجنة وليوام. ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٩٩٢م) ج٢، ص٤٨٣.

(٢) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، ٦٨٢هـ/ ١٢٨٢م) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، د. ت) ص١٥٨.

(٣) المسالك والممالك، ج٢، ص٤٨٣.

(٤) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر (بيروت، ١٩٧٧م) ج١، ص٤٨٣.

(٥) المقدسي البشاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت، نحو ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي (القاهرة، ١٩٩١م) ص٢٢١.

(٦) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت، حوالي٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت، ١٩٨٠م) ص١٠٢.

(٧) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٤٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٨٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٠٢.

(٨) العرب في صقلية – دراسة في التاريخ والأدب، دار الثقافة (بيروت، ١٩٧٥م) ص٣٥.

(٩) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) التنبيه والإشراف، تحقيق، عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي (القاهرة، د. ت) ص٥٢ ؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٩٩٧م) ج٥، ص٤٩٣.

(١٠) محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (ت، ٦١٤هـ/ ١٢١٦م) رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال (بيروت، د. ت) ص٢٦٦.

(١١) الحميري، الروض المعطار، ص٨٩.

(١٢) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٤٨٣.

(١٣) السباخ : جمع مفرده سبخة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزّاق (ت، ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية (د.م، د. ت) ج٧، ص٢٦٩.

(١٤) آجام: جمع مفرده أجَمَة، وهو الشجر الكثير الملتف. ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن على (ت، ٧١١هـ/ ١٣١٢م) لسان العرب، دار صادر (بيروت، ١٩٩٤م) ج١٢، ص٨.

(١٥) أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت، بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الأرض، مكتبة الحياة (بيروت، ١٩٩٢م) ص١٢٢.

(١٦) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت، ٥٦٠هـ/١١٦٤م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٩م) ج٢، ص٥٩١.

(١٧) معجم البلدان، ج١، ص٤٨٣.

(١٨) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩٢.

(١٩) الروض المعطار، ص١٠٢

(٢٠) صورة الأرض، ص١٢٣.

(٢١) مقديش، محمود بن سعيد (ت، ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق، علي الزواري، ومحمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٨٨م) ج١، ص١٦٦.

(٢٢) صورة الأرض، ص٢١٨.

(٢٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٩.

(٢٤) صورة الأرض، ص١٢٢.

(٢٥) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩٢.

(٢٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٨.

(٢٧) أسمطة: جمع مفردها سماط، والسماط: هو الصف الواحد من الناس أو النخل أو غيره. ينظر: رضا، أحمد، معجم متن اللغة، مكتبة الحياة (بيروت، ١٩٥٩م) ج٣، ص٢٠٨.

(٢٨) نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩١.

(٢٩) بنيامين بن الرابي يونة الاسباني (ت، ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي (أبو ظبي، ٢٠٠٢م) ص٣٦٢.

(٣٠) الربض: ويعرف بأنه ما حول المدينة من فضاء مستغل. ينظر: رضا، معجم متن اللغة، ج٢، ص٥٣٢.

(٣١) نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٢.

(٣٢) من الراجح أن تسميتها بالخالصة يعود إلى أن خُصصت لسكن الخلصاء للوالي أو الحاكم فقط؛ لعدم اطمئنانه لأهل صقلية عامة وأهل بلرم خاصة. ينظر: الجهيني، محمد، صقلية وعمائرها الإسلامية في العصر الفاطمي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي (القاهرة، ٢٠٠٦م) ص٢١.

(٣٣) الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٥.

(٣٤) صورة الأرض، ص٢١٨.

(٣٥) أحسن التقاسيم، ص٢٣٢.

(٣٦) معجم البلدان، ج٢، ص٣٣٩.

(٣٧) الروض المعطار، ص١٠٢

(٣٨) الجهني، صقلية وعمائرها الإسلامية، ص٢٢.

(٣٩) صورة الأرض، ص٢١٨.

(٤٠) معجم البلدان، ج٣، ص٤١٩.

(٤١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٩.

(٤٢) صورة الأرض، ص١٢٣.

(٤٣) بميامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ص٣٦١.

(٤٤) معجم البلدان، ج٣، ص٤١٨.

(٤٥) صورة الأرض، ص١٢٢.

(٤٦) صورة الأرض، ص٢١٨.

(٤٧) المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، ص٢٣١.

(٤٨) نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩١.

(٤٩) صورة الأرض، ص٢١٨.

(٥٠) صورة الأرض، ص٢١٩.

(٥١) معجم البلدان، ج١، ص٤٨٣.

(٥٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٢٧.

(٥٣) الفرسخ: وحدة قياس المسافات عند العرب المسلمين، وتبلغ نحو (٥٥٤٥م). ينظر: هنتس ، فالتر، المكاييل والأوزان والمقاييس وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة، كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية (عمّان، ١٩٧٠م) ص٥٤.

(٥٤) رحلة ابن جبير، ص٢٧١.

(٥٥) المدني، أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، الشركة الوطنية للتوزيع (الجزائر، ١٩٦٨م) ص٣٩.

(٥٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٩؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٨٣.

(٥٧) أحمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين، أمير المسلمين بصقلية نيابة عن الفاطميين في أفريقية، تولى الحكم بعد والده سنة (٣٤٣هـ/ ٩٥٤م) وظلَّ يحكم الجزيرة حتى عزله الفاطميون سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) وعينوا مكانه أحد موالي أبيه. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٤٠، ٢٩٥.

(٥٨) صورة الأرض، ص١٢٢.

(٥٩) يرى أحد الباحثين أنَّ بناء السور يعود إلى عهد حكم الأغالبة للجزيرة، إلا أنَّ ليس ثمة دليل على ذلك. ينظر: الجهيني، صقلية وعمائرها الإسلامية، ص٢٠.

(٦٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٥.

(٦١) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت، ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، ٢٠٠٣م) ج٣، ص٢٣٥.

(٦٢) إحسان عباس، العرب في صقلية، ص٦٦ – ٦٧.

(٦٣) الدوري، تقي الدين عارف، صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورماندي، دار الرشيد للنشر (بغداد، ١٩٨٠م) ص٥٤.

(٦٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٢٠.

(٦٥) الحميري، الروض المعطار، ص١٠٢

(٦٦) خيازير: جمع مفرده خيزران، ويجمع على خيازر، وهو نبات طويل ينتشي. ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر (ت، ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) مختار الصحاح، تحقيق، محمود خاطر، مكتبة لبنان (بيروت، ١٩٩٥م) ١٩٦.

(٦٧) أحسن التقاسيم، ص٢٣١.

(٦٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٩٣.

(٦٩) رحلة بنيامين التطيلي، ص٣٦١.

(٧٠) البربير: مفردة يونانية قديمة تعني البردي. ينظر: رينهارت، ب. آ. تكملة المعاجم العربية، ترجمة، محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام (بغداد، ١٩٧٩م) ج١، ص٢٧١.

(٧١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٩، ١٢٢، ١٣١؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٣٩.

(٧٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٢٠، ١٢٣.

(٧٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٨٣.

(٧٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٨٠، ٥١٥؛ ابن عذارى، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت، نحو ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة (بيروت، ١٩٨٣م) ج١، ص١١١.

(٧٥) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٢١، ١٢٣.

(٧٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩٢.

(٧٧) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٢٢، ١٣١.

(٧٨) الإطرية: جمع مفرده طِريان، يقال: نوع من الأغذية انفرد به أهل الشام. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٦٧٠.

(٧٩) ابن حوقل، صورة الارض، ص١١٩؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩٢.

(٨٠) الغضائريين: نسبة إلى الغضار وهو نوع من أنواع الخزف ذو لون أخضر. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٢٤٠.

(٨١) صورة الأرض، ص١٢٠.

(٨٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٨٣.

(٨٣) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩١.

(٨٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٥٣.

(٨٥) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١١١.

(٨٦) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص٢٦٧.

(٨٧) اللومبارديون: أقوام أوربية نزحوا من الدول الاسكندنافية في القرن التاسع للميلاد، واستقروا في شمال إيطاليا. ينظر: حاطوم، نور الدين، العصور الأوربية الوسطى، المكتبة العربية (بيروت، ١٩٩١م) ص٤٤٣.

(٨٨) نقلاً عن: احسان عباس، العرب في صقلية، ص٦٤.

(٨٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٩.

(٩٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٩٢.

(٩١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٠٤.

(٩٢) همدانيون: نسبة إلى قبيلة همدان وهي إحدى القبائل اليمانية الكبيرة. ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت، ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، ط٤ (بيروت، ٢٠٠٧م) ص١٢٥.

(٩٣) كلبيون: نسبة إلى قبيلة كلب العربية. ينظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت، ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) الأنساب، تحقيق، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مكتبة ابن تيمية (القاهرة، ١٩٨٠م) ج٥، ص٢١٣.

(٩٤) الخراسانيون: نسبة إلى إقليم خراسان أكبر الأقاليم في المشرق الإسلامي، وشكلوا فرقة في الجيش العباسي. ينظر: المقدسي، المطهر بن طاهر (ت، نحو ٣٥٥هـ/٩٦٥م) البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد، د. ت) ج٦، ص٨٥؛ المناصير، محمد عبد الحفيظ، الجيش في العصر العباسي الأول، دار مجدلاوي للنشر (عمّان، ١٩٩٩م) ص١١٠.

(٩٥) ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر (بيروت، ١٩٨٨م) ج٤، ص٢٦٦- ٢٦٧.

(٩٦) احسان عباس، العرب في صقلية، ص٦٤- ٦٥.

(٩٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥١٥؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص٢٦٧- ٢٦٨.

(٩٨) صورة الأرض، ص١١٩.

(٩٩) رحلة بنيامين التطيلي، ص٣٦١.

(١٠٠) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص٢٦٨.

(١٠١) المُوَلَّدون: مصطلح شاع استعماله في المصادر العربية الإسلامية للدلالة على التمازج بين الأقوام والأعراق ذات الأصول المختلفة، وغالباً ما كان يُطلق على الأقوام الأعجمية التي تأثرت بالثقافة العربية. ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٢٦٨م) البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٩٨٨م) ج١، ص١٥٩، ١٦١؛ المُبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي (القاهرة، ١٩٩٧م) ج١، ص٢٤٤؛ الرازي، زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت، ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) مختار الصحاح، تحقيق، يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية (بيروت، ١٩٩٩م) ص٣٤٥.

(١٠٢) أحمد، عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة، أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب (بيروت، ١٩٨٠م) ص٧٩.

(١٠٣) لم أعثر في المصادر المتوفرة على نسخة من هذا الكتاب، يبدو أنه ضاع ضمن ما ضاع من التراث العربي الإسلامي.

(١٠٤) صورة الارض، ص١٢٩.